

دلالة الخطاب النحوي في سورة الكهف في تفسير "روح المعاني" للألوسي

The Significance of the Grammatical Discourse in Surat Al-Kahf in the Interpretation of the Spirit of the Meanings of Al-Alusi

الدكتور مشهور أحمد اسبيتان

جامعة فلسطين التقنية خضوري رام الله - فلسطين

البريد الإلكتروني: Mashhoor2007@yahoo.com

الملخص

يهدف هذا البحث " دلالة الخطاب النحوي في سورة الكهف في تفسير روح المعاني للألوسي " إلى دراسة دلالة الخطاب النحوي وما يؤديه من معنى في سياق آيات سورة الكهف ، ثم الوقوف على أركان الخطاب النحوي وبيان أثرها في تجلية مظاهر البيان في آيات سورة الكهف في تفسير الألوسي . فالنحو ركن أساس في التفسير ، وعلوم القرآن الأخرى .

وسار البحث وفق المنهج الوصفي في بيان دور الخطاب النحوي في توجيه المعنى وتفسير الآيات وإبراز جوانب الجمال فيها .

وتألف هذا البحث من تمهيد اختص بسيرة الألوسي وفضائل سورة الكهف ، ومبحث واحد تناول : دلالة الخطاب النحوي في السورة من خلال الأركان الآتية : الاستفهام ، والنداء ، والشرط ، والأمر ، والنهي ، والنفى ، والجملة . وانتهى البحث إلى مجموعة من النتائج كان أهمها :

خرجت أركان الخطاب النحوي عن معناها الحقيقي في السورة إلى معان أخرى يحتملها اللفظ ، وتستفاد من السياق وقرائن الأحوال الكلمات المفتاحية : الخطاب النحوي ، سورة الكهف ، الألوسي .

Summary

This research "The Significance of the Grammatical Discourse in Surat Al-Kahf in the Interpretation of the Spirit of the Meanings of Al-Alusi" aims at studying the significance of the grammatical discourse and the meaning it performs in the context of the verses of Surat Al-Kahf, then studying the pillars of the grammatical discourse and showing its effect in the manifestation of the statement in the verses of Surat Al-Kahf as shown in the interpretation of Al-Alousi. As grammar is a cornerstone of interpretation and other sciences of the Qur'an.

This research proceeded according to the descriptive approach in explaining the role of the grammatical discourse in guiding the meaning, interpreting verses and highlighting the beauty aspects in them.

This research consisted of a preface specializing in the biography of Al-Alusi and the virtues of Surat Al-Kahf, and one study dealing with: the significance of the grammatical discourse in the surah through the following pillars: the interrogation, the call, the condition, the command, the prohibition, the negation, and the sentence.

The research ended with a set of results, the most important of which were:

- The pillars of the grammatical discourse deviated from their true meaning in Surat Al-Kahf to other meanings that are tolerated by the pronunciation and benefit from context and circumstantial evidence.

Key words: grammatical discourse, Surat Al-Kahf, Al-Alusi.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين النبي العربي الأُمِّي الذي هدى الأُمم ، وأوتي جوامع الكلم .

إن اللغة العربية ينبوع تستمد العلوم جميعها أسسها وأركانها من سواقيه ، وهي لغة القرآن الكريم الذي بفضلها ظهرت علوم كثيرة كالفقه والتفسير والخطاب والبيان والنحو ...

ولا نبالغ حين نقول: إن النحو أسهم في تجليات الفقه والتفسير والخطاب، ولا شك أن الخطاب يحتاج إلى لغة سليمة أساسها النحو؛ لأن الخطاب النحوي يسهم في تيسير عملية الاتصال والتواصل من خلال البناء السليم للتركيب التي تبنى منها الرسالة التي نوجهها للمتلقي، أو الذي نريد أن نتواصل معه.

ومما لا شك فيه أن التفسير لا تتوقف قضاياها فهو يمد المسلمين على مر التاريخ بكل جديد، ويكشف عن عجائب القرآن ويجلي الأحكام لكل زمان ومكان، ولم يحتل التفسير هذه المكانة السامية بين العلوم إلا بفضل النحو الذي لا يستغني عنه المفسر والفقهاء. والخطاب النحوي حاضر في معظم آيات القرآن، ويسهم في تفسيرها.

ومن هنا آثرت دراسة هذا الموضوع " دلالة الخطاب النحوي في سورة الكهف في تفسير روح المعاني للألوسي " وذلك لما لهذه السورة من أهمية حثت عليها الأحاديث النبوية، ولما تحويه من أنواع الخطاب المختلفة، بالإضافة إلى مكانة الألوسي بين المفسرين، فهو خاتمة المفسرين، ونخبة المحدثين، متمسكا بالسنة، متجنباً للفتن، أعلى من مكانة المعاني والبيان في تفسيره.

وسار البحث وفق المنهج الوصفي في بيان دور لخطاب النحوي في توجيه المعنى وتفسير الآيات وإبراز جوانب الجمال فيها.

وبني هذا البحث من تمهيد تناول سيرة الألوسي وفضائل سورة الكهف، ومبحث واحد شمل: دلالة الخطاب النحوي في سورة الكهف من خلال أركان الخطاب الآتية: الاستفهام، والنداء، والشرط، والأمر، والنهي، والنفي، والجملة.

التمهيد

سيرة الألوسي

شهاب الدين محمود بن السيد عبدالله أفندي الألوسي البغدادي، ينتهي نسبه الشريف من جهة الأب والأم إلى سيدنا الحسين، وكان - رحمه الله - خاتمة المفسرين، ونخبة المحدثين، أخذ العلم عن فحول العلماء، وكان جل همه

خدمة كتاب الله وحديث نبيه ، واشتغل بالتدريس وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، و أكثر من إملأ الخطب و الرسائل ، والفتاوى ⁽¹⁾

وكان مولده في بغداد سنة 1217 هـ ، وفيها توفي سنة 1270 هـ ، وكان سلفي الاعتقاد ، تقلد الإفتاء في بلده سنة 1248 هـ و عزل ، فانقطع للعلم . ثم سافر سنة 1262 هـ إلى الموصل ، فالأستانة ، وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ، و يكمل ما بدأ به من مصنفاته إلى أن توفي . ⁽²⁾ وتنسب أسرته إلى آلوس ، وهي قرية على القُرات قرب عانات ، و الألويسيون سادة و أشراف ، وهم – على ثبوت نسبهم – من أبعد الناس عن التفاخر بالأنساب. ⁽³⁾

فضائل سورة الكهف

لهذه السورة فضائل كثيرة ، فعن أبي الدرداء أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الرجال . وفي رواية – من آخر السورة – " . ⁽⁴⁾ وقال – عليه السلام - : " من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة ، من مقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ، ثم خرج الدجال لم يضره ... " . ⁽⁵⁾ وقال – عليه السلام - : " من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة ، أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق " . ⁽⁶⁾

دلالة الخطاب النحوي في سورة الكهف

(1) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، البيطار، عبد الرازق، تحقيق محمد بهجة البيطار، ط 2 دارصادر، بيروت 1413 – 1993، ج 3، ص 1450 – 1453.

(2) الأعلام، الزركلي، خير الدين، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، ج 7، ص 176.

(3) حلية البشر، البيطار، عبد الرزاق، ج 3، هامش ص 1450

(4) أبو الحسن، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (صحيح مسلم) دار الجيل، بيروت – دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج 2، ص 199.

(5) السلسلة الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف، الرياض، ج 6، ص 153.

(6) سنن الدارمي، الدارمي، عبدالله بن عبد الرحمن، تحقيق فوز أحمد الزمري و خالد السبيع، ط 1، دار الكتاب، بيروت 1407 هـ، ج 2، ص 546.

يرى ابن خلدون أن أركان علوم اللسان العربي أربعة : " اللغة والنحو والبيان والأدب ، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة ... والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة ... ولولاه لجهل أصل الإفادة " .
(7)

يتضح مما قاله ابن خلدون أن كل من يتصل أو يخاطب الناس من أهل العلم و الشريعة وغيرهم كالمعلمين و الإعلاميين لا يستغني عن علوم اللسان العربي و على رأسها النحو. و على ذلك فإن النحو في نظرية الخطاب و الإعلام يرتبط بعنصر " الرسالة " ارتباطا مباشرا من حيث قيامه بوظيفة تعبيرية عن الفكر ، و بذلك يكون قاسما مشتركا بين عناصر الخطاب الأخرى كالمرسل و المستقبل . فاللغة تنظر إلى الألفاظ من ناحيتين : من ناحية وجودها مفردة فتقسمها إلى أسماء و أفعال و حروف ... و من ناحية تركيبها في السياق الذي يحدد موقعها الإعرابي .
(8)

أما أركان الخطاب النحوي الواردة في سورة الكهف فهي :

أولا : الاستفهام

في الاصطلاح " أن نريد من المخاطب أمرا لم يستقر عند السائل " (9) و هو أسلوب لغوي ، أساسه طلب الفهم ، و الفهم صورة ذهنية تتعلق أحيانا بمفرد ، شخص أو شيء ، أو غيرهما ، و تتعلق أحيانا بنسبة أو بحكم من الأحكام . و بناء على ذلك فإن الاستفهام نوعان : استفهام عن نسبة ، أي نسبة ثبوت بين المسند

(7) مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، ط 6 ، دار القلم ، بيروت ، 1406 - 1986 ، ص 545 .

(8) وسائل الإعلام و مشكلة الثقافة ، شرف ، عبد العزيز ، دار الجيل ، بيروت ، 1414 - 1993 ، ص 318 .

(9) الكتاب ، سيويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط 3 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1403 - 1983 ، ج 1 ، ص 99 .

و المسند إليه و انتفائها ، أي استفهام عن مضمون الجملة ، والنوع الثاني استفهام عن مفرد أي أحد طرفي التركيب.⁽¹⁰⁾

ومن ورود الخطاب بالاستفهام في سورة الكهف قوله تعالى : " أم حسبت أن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا من آياتنا عجا [الكهف 9] " أم حسبت " خطاب لسيد البشر- صلى الله عليه و سلم -والمقصود غيره و " أم " منقطعة بمعنى " بل " التي تفيد الانتقال من كلام إلى آخر ، لا للإبطال ، و همزة الاستفهام مقدرة ، و قيل " أم " بمعنى الهمزة ، أي بل أحسبت ، وخطاب الاستفهام يفيد التنبيه ؛ لأنه عندما أخذ الرسول - عليه السلام - ما أخذه من الكأبة و الأسف من إباء القوم عن الإيمان قيل له ما قيل ، و حسبت : بمعنى الظن أو بمعنى العلم .⁽¹¹⁾ و قيل الخطاب للسامع ، و المراد المشركون ، فالظن يقام مقام العلم ، وكذلك حسبت بمعنى علمت .⁽¹²⁾

وقوله تعالى : " قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم " [الكهف 19] " كم لبثتم " تمييز " كم " محذوف أي كم يوما أقمتم نائمين ، و كأنه قال ذلك لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة ، فحذف تمييز " كم " يدل على عدم تأكدهم من مدة نومهم بدليل قوله تعالى : " لبثنا يوما أو بعض يوم " " أو " للشك كما قال غير واحد ، و المراد لم نتحقق مقدار لبثنا هل هي مقدار يوم أو بعض يوم منه ، و الظاهر أنهم قالوا ذلك ؛ لأن لثة النوم لم تذهب من بصرهم و بصيرتهم ، و المعروف أن نومهم كان في الصباح ، و استيقاظهم كان آخر النهار ، فلما تحققوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا : " أو بعض يوم " ⁽¹³⁾ و ذكر أبو حيان

⁽¹⁰⁾ في النحو العربي نقد و توجيهه ، المخزومي ، مهدي ، ط 1 ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، 1964 ، ص 264 - 265 .

⁽¹¹⁾ روح المعاني ، الألوسي ، شهاب الدين محمود ، دار الفكر ، بيروت ، 1414 - 1994 ، ج 15 ، ص 301 - 303

⁽¹²⁾ البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و زملائه ، ط 1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1422 - 2001 ، ج 6 ، ص 98 .

⁽¹³⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 331 .

أن " كم " للسؤال عن العدد ، وأن " أو " للتفصيل (قال بعضهم لبثنا يوما) و قال بعضهم : بعض يوم .⁽¹⁴⁾ ولكن الألوسي نفى هذا الرأي : لأن قوله تعالى : " قالوا ربكم أعلم بما لبثتم " يفيد الاستئناف في الحكاية ، و الخطاب في المحكي يقضي بأن الكلام جار على منهج المحاوراة و المجاورة .⁽¹⁵⁾

وقوله تعالى : " أكفرت بالذي خلقك من تراب " [الكهف 37] جاء الاستفهام ردا على القول المتقدم في الآية وهو : " و ما أظن الساعة قائمة " ف " أظن " تفيد الشك و الشاك في البعث حكمه الكفر . و الاستفهام بالهمزة يفيد التصديق ؛ لأنه ورد في الآية في موقف المحاوراة في قوله السابق : " قال له صاحبه وهو يحاوره " .⁽¹⁶⁾ وذلك أثناء حوار المؤمن مع صاحبه الكافر .

وقوله تعالى : " أفتتخذونه و ذريته أولياء من دوني " [الكهف 50] أفاد الخطاب بالهمزة الإنكار و التعجب و الفاء للتعقيب ، والمراد إما إنكار أن يعقب اتخاذه و ذريته أولياء العلم بصدور ما صنع إبليس مع التعجب من ذلك ، و إما تعقيب إنكار الاتخاذ المذكور و التعجب منه إعلام الله تعالى بقبح صنع إبليس اللعين⁽¹⁷⁾ و ذكر القرطبي أن الاستفهام بالهمزة يفيد التوبيخ ، و التقدير : أفتتخذونه يا بني آدم و ذريته أولياء و هم لكم عدو .⁽¹⁸⁾

وقوله تعالى : " قال رأيت إذ أوينا إلى الصخرة " [الكهف 63] ذكر الألوسي أن " رأيت " بمعنى أخبرني و هذا رأي الزمخشري ، و المعنى : كأن فتى موسى قال له : رأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة ؟ فإني نسيت الحوت ، فطفق يسأل موسى عن ذلك ، و القصد أخبرني ما أصابني .⁽¹⁹⁾

⁽¹⁴⁾ البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، ج 6 ، ص 106

⁽¹⁵⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 332 .

⁽¹⁶⁾ روح المعاني ، الألوسي ج 15 ، ص 399 .

⁽¹⁷⁾ المرجع السابق ، ج 15 ، ص 424 .

⁽¹⁸⁾ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق عماد زكي البارودي و خيرى سعيد ، المكتبة التوفيقية ،

القاهرة ، ج 10 ، ص 347 .

⁽¹⁹⁾ الكشاف ، الزمخشري ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415 - 1995 ، ج 2 ، ص 704 .

و ذهب الشوكاني إلى أن الاستفهام يفيد التعجب ، تعجب لموسى مما وقع له من النسيان هناك مع كون ذلك الأمر مما لا ينسى ؛ لأنه شاهد أمرا عظيما من قدرة الله الباهرة ، ومفعول "أرأيت" محذوف لدلالة ما ذكره من النسيان عليه ، والتقدير: أرأيت ما دهاني أو نابني في ذلك الوقت والمكان .⁽²⁰⁾

قوله تعالى : " هل أتبعك على تعلمني مما علمت رشدا " [الكهف 66] الاستفهام في الآية يفيد الاستئذان استئذان من موسى - عليه السلام - في اتباع العبد صاحب العلم ، وقيل : هو الخضر بشرط التعليم ، ويفهم ذلك من " على " فقد قال الأصوليون : إن على قد تستعمل في معنى يفهم منه كون ما بعدها شرطا لما قبلها ، نحو : " يبايعنك على أن لا يشركن " [الممتحنة 12] أي بشرط عدم الشرك⁽²¹⁾) وذهب القرطبي إلا أن هذا الاستفهام فيه مسألتان : الأولى : هذا سؤال الملاطف ، والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب . الثانية : في الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب .⁽²²⁾

وقوله تعالى : " وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا " [الكهف 68] يفيد الخطاب باسم الاستفهام "كيف" أن العبد الصالح ، وذكر بعض المفسرين أنه " الخضر " - يعلم ويتولى أمورا خفية المراد ، ولكن من يشاهدها ينكرها ، وكأنه علم حدة موسى - عليه السلام - ، فقال له " وكيف تصبر " فأفاد الاستفهام نفي الصبر عن موسى .⁽²³⁾ ويرى أبو حيان أن " كيف تصبر " تفيد الاستبعاد مع الاعتذار ، أي أن صبرك على ما لا خبرة لك به مستبعد ، وفيه إبداء عذره حيث لا يمكنه الصبر لما يرى من منافاة ما هو عليه من شريعته.⁽²⁴⁾

⁽²⁰⁾ فتح القدير ، الشوكاني ، المطبعة العصرية ، صيدا - بيروت ، 1423 - 2003 ، ج 3 ، ص 371 .

⁽²¹⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 477 .

⁽²²⁾ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج 11 ، ص 15 .

⁽²³⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 481 .

⁽²⁴⁾ البحر المحیط ، أبو حيان الأندلسي ، ج 6 ، ص 140 .

وقوله تعالى: " قال أخرجتها لتغرق أهلها ... قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ... أقتلت نفس ذكية بغير نفس ... قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا " [الكهف 71 – 75] ورد الاستفهام في الآيات السابقة بالهمزة ، وهي تستعمل لطلب التصور ، نحو: " أزيد قائم أم عمرو " ولطلب التصديق ، نحو: " أزيد قائم " وتدخل على الإثبات والنفي .⁽²⁵⁾ وهي في الآيات السابقة تفيد الإنكار من المتكلم وتطلب التصديق من المخاطب ، ففي قوله: " ألم أقل لك " زيادة " لك " تفيد أن الخضر استنكر من موسى المكافحة ورفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار لأفعال الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام ، ولم يرعو منه الاشمئزاز والاستنكار لأفعال الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام ، ولم يرعو موسى بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية .⁽²⁶⁾

وقوله تعالى: " فهل نجعل لك خراجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا " [الكهف 94] أفادت الفاء مع هل تفرع العرض على إفسادهم في الأرض، وهذا العرض يقدمونه لذي القرنين وهو " خراجا " بمعنى: جُعل من أموالهم ، و الخرج يدفع على الرؤوس . وقيل: الخرج المال يخرج مرة واحدة والخراج الخرج المتكرر .⁽²⁷⁾ وقرأ حمزة و الكسائي " فهل نجعل لك خراجا " و الخرج: عطية نخرجها لك من أموالنا ، أما الخراج فهو المضروب على الأرض .⁽²⁸⁾ وذكر البعض أن الاستفهام في الآية يفيد استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه على ما طلبوا على حسن الأدب إذ سألوه ذلك .⁽²⁹⁾ وقوله تعالى: " أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني

⁽²⁵⁾ مغني اللبيب ، ابن هشام ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا -

بيروت ، 2003-1424 ، ج 1 ، ص 22

⁽²⁶⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 484 – 489 ، ج 16 ، ص 3

⁽²⁷⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 16 ، ص 57 .

⁽²⁸⁾ حجة القراءات ، ابن زنجلة ، عبد الرحمن بن محمد ، تحقيق سعيد الأفغاني ، ط 5 ، مؤسسة

الرسالة ، بيروت ، 2001 – 1422 ، ص 433 .

⁽²⁹⁾ البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، ج 6 ، ص 154 . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ،

أولياء " [الكهف 102] حسب بمعنى ظن ، والهمزة للإنكار والتوبيخ على معنى إنكار الواقع واستقباحه ، وقوله " فحسب " معطوف على قوله : "الذين كانت أعينهم " في الآية السابقة دلالة على أن الحسبان ناشئ عن التعامي والتصام وأدخل عليه همزة الإنكار ذما على ذم .⁽³⁰⁾

وقوله تعالى : " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا " [الكهف 103] خطاب للكفرة ، وإذا حمل الاستفهام على الاستئذان كان فيه من التهكم ما فيه ، و الجمع في صيغة المتكلم " ننبئكم " قيل لتعيينه من أول الأمر وللإيدان بمعلومية النبأ للمؤمنين أيضا .⁽³¹⁾ وفي الآية دلالة على أن من الناس من يعمل العمل وهو يظن أنه محسن وقد حبط سعيه . و الذي يوجب إحباط السعي إما فساد الاعتقاد أو المرءاة ، والمراد هنا الكفر . والآية معناها التوبيخ ، أي قل لهؤلاء الكفرة الذين عبدوا غيري : يخيب سعيهم وآمالهم غدا فهم الأخسرون أعمالا ، وهم " الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا " ⁽³²⁾

ثانيا : النداء

من معنى كلمة النداء ندين أنه صيغة لغوية فيها توجيه الدعوة إلى المخاطب ، وتنبهه للإصغاء وسماع ما يريد المتكلم . وبناء عليه فهو أداة التواصل اللغوي .⁽³³⁾ وإن أسلوب النداء أو جملة النداء تبنى على شيئين: أداة النداء ومنادى ، ومن اتحادهما ينشأ مركب لفظي ، وحروف النداء خمسة : يا وأيا وهيا والهمزة وأي و "يا" أم الباب ، واختصت بأن نودي بها القريب والبعيد ، واستعملت في الاستغاثة دون أخواتها .⁽³⁴⁾

⁽³⁰⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 16 ، ص 65 – 66 .

⁽³¹⁾ المرجع السابق ، ج 16 ، ص 67 .

⁽³²⁾ الجامع لأحكام القرآن الكريم ، القرطبي ، ج 11 ، ص 56 .

⁽³³⁾ النحو الوافي ، حسن ، عباس ، ط 5 ، دار المعارف ، مصر ، ج 4 ، ص 1 .

⁽³⁴⁾ رصف المباني ، المالقي ، أحمد بن عبد النور ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة

العربية ، دمشق ، ص 453

ومن أمثلة النداء في سورة الكهف قوله تعالى : " فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً " [الكهف 10] لم يتعرض الألوسي لشرح النداء في " ربنا " . ويجوز حذف حرف النداء وبقاء المنادى وذلك مع العلم والمضاف ، وكثير مثل هذا الحذف في القرآن مع لفظ الجلالة " رب " لأن فيه معنى الدعاء كما في الآية السابقة – ولأن المنادى وهو الله قريب من جميع العباد فلا يحتاج إلى تنبيه ، وقد قيل : إن ما في القرآن " رب " منادى إلا وحرف النداء محذوف معه .⁽³⁵⁾ إلا في موضعين .

وقوله تعالى : " قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا " [الكهف 86] المعنى قلنا : يا محمد ، قالوا أي جنده الذين كانوا معه : يا ذا القرنين ، فالنداء وطلب التخيير بالتعذيب أو الإحسان كان من جنده وأهل العلم الذين كانوا معه .⁽³⁶⁾ وهذا النداء لذي القرنين يفيد التنبيه ؛ لأن دخول حرف النداء على الفعل أو العلم يفيد التنبيه ، فقولهم يا عبدالله ، لا يعدو أن يكون أداة للتنبيه ولفت لنظر المنادى .⁽³⁷⁾

وقوله تعالى : " قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض " [الكهف 94] لم يتعرض الألوسي للنداء في الآية ، ولكن القرطبي ذكر ما يلي : " قالوا " أي قالت له أمة من الناس صالحة بأن يتحرز ويتنبه إلى إفساد يأجوج ومأجوج ، وكأن هذا النداء يفهم منه الطلب والتنبيه .⁽³⁸⁾

ثالثا : الشرط

الشرط أسلوب لغوي يبني بالتحليل – على جزءين الأول منزل منزلة السبب ، والثاني منزل منزلة المسبب ، وتحقق الثاني وعدمه متعلق بتحقق الأول وعدمه ،

⁽³⁵⁾ الفضة المضيئة ، أحمد بن زيد ، تحقيق عبد المنعم فائز مسعد ، ط 1 ، مطبعة المعارف ، القدس

1401-1989 ، ص 121 .

⁽³⁶⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 16 ، ص 49 .

⁽³⁷⁾ مهدي ، المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، ص 53 .

⁽³⁸⁾ الجامع لأحكام القرآن الكريم ، القرطبي ، ج 11 ، ص 47 – 48 .

وأصل الشرط والجزاء أن يتوقف الثاني على الأول بمعنى أن الشرط يستحق جوابه بوقوعه هو في نفسه .

وذلك نحو قوله تعالى : " إن تعذبهم فإنهم عبادك " [المائدة 118] فهم عباده عذبهم أو رحمهم .⁽³⁹⁾ ومن أمثلة الشرط في سورة الكهف قوله تعالى : " وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ... " [الكهف 16] خاطب بعضهم بعضا قائلين : " وإذا اعتزلتموهم " والاعتزال تجنب الشيء بالبدن أو بالقلب وكلا الأمرين محتمل هنا . ذهب الألوسي إلى أن " إذ " بدون " ما " لا تكون للشرط ، وهي في الآية تعليلية أو ظرفية ، وبذلك تكون " فأووا " دليل الجواب ، وذهب الفراء إلى أن " إذ " جازمة وأن " فأووا " جواب الشرط .⁽⁴⁰⁾

وقوله تعالى : " من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا " [الكهف 17] أفاد أسلوب الشرط الأول " من يهد ... " إما الثناء على أصحاب الكهف والشهادة لهم بإصابة المطلوب بتحقيق ما أملوه من نشر الرحمة وتهيئة المرفق ، أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ، ولكن المشفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها . أما أسلوب الشرط الثاني " ومن يضلل ... " فيه مقابلة مع " من يهد ... " وهي تفيد تأكيد المدح ، ففيه تعريض بأنهم أهل الولاية والرشاد ؛ لأن لهم الولي المرشد ، ولعل

في الآية صنعة الاحتباك.⁽⁴¹⁾ وذهب الزمخشري إلى هذا الرأي بأن الشرط أفاد ثناء الله عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم ، فلفظ بهم وأعانهم ، وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة والاختصاص بالآية العظيمة .⁽⁴²⁾

وقوله تعالى : " لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا " [الكهف 18] أي لو عاينتهم وشاهدتهم ، وأصل الاطلاع الوقوف على الشيء بالمعاينة

⁽³⁹⁾ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، دار الفكر ، بيروت 1424 - 2004 ، ج 2 ، ص 369 .

⁽⁴⁰⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، 318 - 319 .

⁽⁴¹⁾ المرجع السابق ، ج 15 ، ص 324 .

⁽⁴²⁾ الكشاف ، الزمخشري ، ج 2 ، ص 681 .

والمشاهدة ، والنتيجة " لوليت " أي لأعرضت بوجهك عنهم ووليهم كشحك ، ويجوز أن يكون الخطاب في الآية للنبي - صلى الله عليه وسلم - ويجوز أن يكون لغير معين وأن المراد منها الإخبار عن أنهم بتلك الحالة في ذلك الوقت .⁽⁴³⁾

وقوله تعالى : " ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ... " [الكهف 39] أفاد أسلوب الشرط في الآية الحض على القول : " ما شاء الله ... " و التوبيخ على تركه ، وتقديم الظرف " إذ " على المحضض عليه للإيدان بتحتم القول في أن الدخول من غير ريث أفاد القصر ، وجعله فاصلا بين " لولا " وفعالها لتوسعهم في الظرف أي هلا قلت عندما دخلتها : " ما شاء الله " . يجوز أن تكون " ما " موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر .

ويجوز أن تكون شرطية في محل نصب بـ " شاء " والجواب محذوف تقديره: أي شيء شاء الله تعالى كان . وأيا ما كان فالمراد تحضيضه على الاعتراف بأن جنته وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها .⁽⁴⁴⁾

وقوله تعالى : " إن ترن أن أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك [الكهف 39 - 40] خاطب الرجل الفقير صاحبه الغني (صاحب الجنة بأسلوب الشرط في الآية السابقة ، أي إن ترن كذلك فلا بأس عسى ربي ... وهو جواب الشرط ، والمعنى إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنيع الله تعالى أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى ، فيرزقني لإيماني جنة خيرا من جنتك ، ويسلبك بكفرك نعمته ويخرب جنتك .⁽⁴⁵⁾ وذكر الشوكاني أن جواب الشرط " فعسى ربي ... " يفيد الرجاء ، والمعنى : فأنا أرجو أن يرزقني الله سبحانه جنة خيرا من جنتك في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما .⁽⁴⁶⁾

⁽⁴³⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 328 - 329 .

⁽⁴⁴⁾ المرجع السابق ، ج 15 ، ص 402 - 403 .

⁽⁴⁵⁾ المرجع السابق ، ج 15 ، ص 404 - 405 .

⁽⁴⁶⁾ فتح القدير ، الشوكاني ، ج 3 ، ص 357 .

وقوله تعالى : " وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا " [الكهف 57]
الخطاب لرسول - عليه السلام - أي لن يهتدوا مدة التكليف كلها ، فأفاد جواب
الشرط نفي اهتدائهم لدعوة الرسول - عليه السلام - بمعنى أنهم جعلوا ما يجب
أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه ، وهذا الأسلوب من الشرط نزل
الرسول - عليه السلام - منزلة السائل ، فكأنه قال : مالي لا أدعوهم حرصا على
اهتدائهم ؟ ⁽⁴⁷⁾ وذكر الزمخشري أن " أبدا " تفيد مدة التكليف كلها وأن " إذا " جزاء
وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهذا
دليل قاطع على علم الله تعالى للغيب . ⁽⁴⁸⁾

وقوله تعالى : " قال إن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا " [الكهف 70] أفاد " فإن اتبعتني " الإذن من الخضر لموسى - عليه السلام -
بالاتباع ، و " فلا تسألني " لا تناقش ولا تعترض عما تشاهده من أفعالي ؛ لأن فيه
إيدانا بأن كل من يصدر عنه له حكمة وغاية حميدة لا يدركها موسى . ⁽⁴⁹⁾ وهذا
الشرط فيه دلالة احتمال ، وهي الدلالة المستفادة من الشرط الذي لم يقع بعد ،
ولا يشترط فيه الوقوع ، فالحدث الأول وهو حدث السبب " فإن اتبعتني " محتمل
للوجود وللعدم على حد سواء . ⁽⁵⁰⁾ وقوله تعالى : " قال إن سألتك عن شيء بعدها
فلا تصاحبني ... " [الكهف 76] أي : إن سألتك عن شيء تفعله من الأعاجيب
بعدها فلا تكن صاحبي ، والمراد الحزم بالترك والمفارقة . ⁽⁵¹⁾ قيل : هذا الشرط
لازم ، والمسلمون عند شروطهم ، وأحق الشروط أن يوفى به ما التزمه الأنبياء . ⁽⁵²⁾

⁽⁴⁷⁾ روح المعاني ، الألويسي ، ج 15 ، ص 437 - 438 .

⁽⁴⁸⁾ الكشاف ، الزمخشري ، ج 2 ، ص 701 .

⁽⁴⁹⁾ روح المعاني ، الألويسي ، ج 15 ، ص 483 .

⁽⁵⁰⁾ المحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها ، الأنطاكي ، محمد ، ط 1 ، مكتبة الشروق ،
بيروت ، 1392 - 1972 ، ج 2 ، ص 53 - 56 .

⁽⁵¹⁾ روح المعاني ، الألويسي ، ج 16 ، ص 3 .

⁽⁵²⁾ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج 11 ، ص 19 .

وقوله تعالى : " قالوا لو شئت لاتخذت عليه أجرا " [الكهف 77] أفاد أسلوب الشرط التحريض من موسى - عليه السلام - للخضر والحث على أخذ الأجرة على بناء الجدار ؛ ليحصل لهما الانتعاش ، وأفاد أيضا السؤال ، أي : لم لم تأخذ الأجرة ؟ والاعتراض على ترك الأخذ . وقيل أفاد التعريض ، وكأن سيدنا موسى لما رأى الحرمان ومساس الحاجة والاشتغال بما لا يعني لم تمالك الصبر فاعترض بأن بناء الجدار تبرع بما لم يطلب منهما ، فالبناء لم يحقق فائدة لهما.⁽⁵³⁾ قال الفراء : معناه لو شئت لم تقمه حتى

يطعمونا، فهو الأجر ، وفي هذا تحريض .⁽⁵⁴⁾

رابعا : الأمر

الأمر عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور به سمي عاصيا ، ويكون بلفظ " افعل " و " ليفعل " نحو " أقيموا الصلاة " [الأنعام 72] وقوله : " وليحكم أهل الإنجيل " [المائدة 50]⁽⁵⁵⁾ وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام . ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطب أو يوجه له الأمر ، سواء أكان أعلى منزلة منه أم لا .⁽⁵⁶⁾

ومن أمثلة الأمر في سورة الكهف قوله تعالى : " فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا " [الكهف 10] قوله : " آتنا " بمعنى تفضل علينا ؛ لأن الأمر من باب الدعاء والتفضل لا الوجوب ، وخصص الخطاب " من لدنك " أي من عندك ، و " رحمة " عظيمة أو نوعا من الرحمة فالتنوين للتعظيم أو النوع . وقوله : " هيئ لنا " أصل التهيئة إحداث الهيئة وهي الحالة التي يكون عليها الشيء محسوسة أو معقولة ، والأمر يفيد الدعاء ، أي يسر لنا . وفي الآية قدم المجرورين " من لدنك " و " من أمرنا " على المفعولين " رحمة " و " رشدا " لإظهار الاعتناء بهما

⁽⁵³⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 16 ، ص 10 - 11 .

⁽⁵⁴⁾ معاني القرآن ، الفراء ، يحيى بن زياد ، تحقيق محمد علي النجار ، دار السرور ، ج 2 ، ص 156 .

⁽⁵⁵⁾ الصحابي ، ابن فارس ، أحمد ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418 - 1997 ، ص 138 .

⁽⁵⁶⁾ علم المعاني ، عتيق ، عبد العزيز ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1974 ، ص 81 .

وإبراز الرغبة في المؤخر. ⁽⁵⁷⁾ وذهب البعض إلى أن "أتنا" بمعنى أعطنا من عندك رحمة تنجيننا بها من هؤلاء الكفار. ⁽⁵⁸⁾

وقوله تعالى: "وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته" [الكهف 16] قوله: "فأووا" أي التجئوا، وهي تفيد تحديد المكان، أي فأخلصوا له العبادة في موضع تتمكنون منه. ⁽⁵⁹⁾ وهذا الأمر "فأووا" يفيد الالتماس؛ لأنه صادر عن الأنداد والنظرء المتساوين قدرا ومنزلة ⁽⁶⁰⁾ وهم أصحاب الكهف.

وقوله تعالى: "فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا" [الكهف 19] في الآية أربعة أفعال أمر، وهي تدل على الترتيب والتسلسل من أمر إلى أمر، فقوله "فابعثوا أحدكم" يفيد التعيين أي: واحدا منكم، ولم يقل واحداً لإيهامه إرادة سيدكم فكثيراً ما يقال جاء واحد القوم ويراد سيدهم. وقوله: "فلينظر" يفيد التوخي والتحري والبحث عن الطعام الحلال؛ لأن أهل المدينة كانوا في عهدهم يذبحون للطواغيت، وفي رواية أنهم كانوا يذبحون الخنازير، وقيل البحث والتحري عن أطيب أنواع الطعام، وفي رواية أنهم عنوا بالأزكى الأرز، والنظر يحتمل أن يكون من نظر القلب أو من نظر العين، وقوله: "فليأتكم" خطاب خصص بـ "من" أي من ذلك الأزكى طعاماً فـ "من" لابتداء الغاية أو التبويض. وقوله: "وليتلطف" أي وليتكلف اللطف في المعاملة كي لا تقع خصومة تجر إلى معرفته، أو ليتكلف اللطف في الاستخفاء دخولا وخروجاً، وقيل: ليتكلف ذلك كي لا يغبن. ⁽⁶¹⁾ ويرى البعض أن الأوامر الواردة في الآية تعلمنا درساً في اللياقة والذوق فإن كثيراً من

⁽⁵⁷⁾ روح المعاني، الألوسي، ج 15، ص 305 – 306.

⁽⁵⁸⁾ إعراب القرآن، ابن النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1426 –

2005، ص 505.

⁽⁵⁹⁾ روح المعاني، الألوسي، ج 15، ص 319.

⁽⁶⁰⁾ علم المعاني، عتيق، عبد العزيز، ص 84.

⁽⁶¹⁾ روح المعاني، الألوسي، ج 15، ص 332 – 334.

المتدينين يظنون أن التدين امتناع عن الطيبات التي أباحها الله ، وهذا تصور بعيد عن روح الإسلام ، وقد فقه فتية الكهف أن الله يحب التمتع بالنعمة فقالوا : "أيها أذكى طعاما " أي أطيب الطعام . وهناك أمر آخر مهم في التخاطب والتواصل ، وما أحوج الدعاة إليه وبخاصة في عصرنا وهو قوله سبحانه : " وليتلفظ " وهو الحكمة في التعامل وعدم التزم . هذا هو فقه الفتية اختيار الطيبات من الرزق ، والحكمة في المعاملة ، ثم التحذير من أسلوب العنف ، والمبالغة في السرية .⁽⁶²⁾ وقوله تعالى: " فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم " [الكهف 21] قال بعضهم من باب الاعتناء بالفتية ابنوا بناء على باب كهفهم .⁽⁶³⁾

وقوله تعالى : " قل ربّ أعلم بعدتهم " [الكهف 22] لم يذكر الألوسي معنى الأمر في قوله : " قل " وذكر القرطبي أن " قل " أمر من الله - تعالى - إلى سيدنا محمد - عليه السلام - لكي يرد علم عدتهم إليه - عز وجل -⁽⁶⁴⁾ وهو خطاب تشریف ؛ لأن كل خطاب في القرآن بلفظ " قل " يفيد التشریف .⁽⁶⁵⁾

وقوله تعالى : " واذكرك ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهيني ربي لأقرب من هذا رشدا " [الكهف 24] أي مشيئة ربك فالكلام على حذف مضاف ، وهو أمر بالتدراك عند التذكر ، والخطاب للنبي والمراد سائر المسلمين لأنه من خطاب الخاص المراد به العموم والمراد من ذلك المبالغة في الحث عليه بإيهاً أن تركه من الذنوب التي يجب لها التوبة والاستغفار .⁽⁶⁶⁾ وقوله " وقل عسى ... " لم يذكر الألوسي دلالة

⁽⁶²⁾ قصص القرآن الكريم ، عباس ، فضل حسن ، ط 1 ، دار الفرقان ، عمان ، 1420 - 2000 ، ص 745 - 746 .

⁽⁶³⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 340 .

⁽⁶⁴⁾ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج 10 ، ص 319 .

⁽⁶⁵⁾ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج 2 ، ص 267 .

⁽⁶⁶⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 360 - 362 . البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج 2 ، ص

الأمر فيها ؛ وذهب القرطبي إلى أنه دعاء مأمور به كل من ينسى ذكر الله ، وهذه الآية مخاطبة للنبي - عليه السلام - ⁽⁶⁷⁾

وقوله تعالى : " قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ... " [الكهف 26] لم يقف الألوسي على دلالة " قل " في هذه الآية . ولكن كما ذكرنا في الآية (22) فهو خطاب يفيد التشريف ، أما قوله : " أبصر به وأسمع " يفيد التعجب ؛ لأن المراد أن ذلك أمر عظيم من شأنه أن يتعجب منه ، ولا يمنع التعجب من بعض صفاته سبحانه وتعالى ⁽⁶⁸⁾ وذهب ابن النحاس إلى أنه حُذِفَ منه الإعراب لأنه على لفظ الأمر وهو بمعنى التعجب أي ما أسمع وما أبصره . ⁽⁶⁹⁾ وقوله تعالى : " واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك [الكهف 27] أمر من الله تعالى للرسول يفيد الإلزام أي لازم تلاوة وقراءة ذلك على أصحابك أو مطلقا ، ولا تكثرت بقول من يقول لك : اتل بقرآن غير هذا أو بدله ، ويجوز أن يكون " اتل " أمرا من التلو بمعنى الاتباع أي اتبع ما أوحى إليك والزم العمل به . ⁽⁷⁰⁾

وقوله تعالى : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ... " [الكهف 28] أي احسبها وثبتها ، يقال : صبرت زيدا أي حبسته ، وفي الحديث : النهي عن صبر الحيوان أي حبسه للرمي ، واستعمال ذلك في الثبات على الأمر وتحمله توسع ، وهو يفيد هنا الصبرورة ومصاحبة الذين يدعون ربهم . ⁽⁷¹⁾ والأمر بالصبر هنا يظهر منه كبير اعتناء هؤلاء الفقراء من المسلمين الذين أمر الله رسوله أن يصبر نفسه معهم ، وهي رد على كفار قريش حين قالوا للرسول لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك ، يعنون عمارا وصهيبا ... ⁽⁷²⁾ وقوله تعالى : " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " [الكهف 29] أفاد الأمر " قل

⁽⁶⁷⁾ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج 10 ، ص 321 .

⁽⁶⁸⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 367 .

⁽⁶⁹⁾ إعراب القرآن ، ابن النحاس ، ص 508 .

⁽⁷⁰⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 370 .

⁽⁷¹⁾ المرجع السابق ، ج 15 ، ص 377 .

⁽⁷²⁾ البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، ج 6 ، ص 113 .

" أن هذا " الحق " لازم الاتباع ، وقوله " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " من تمام القول الأمور به فالفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد .⁽⁷³⁾

وقوله تعالى : " واضرب لهما مثل رجلين ... " [الكهف 32] لم يذكر الألوسي دلالة هذا الأمر " واضرب " وهو خطاب للرسول . وما زال الكلام موصولاً بالقوم الذين أرادوا أن يصرفوا الرسول -عليه السلام- عن الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ؛ لذلك أراد الله تعالى أن يضرب لنا مثلاً موجوداً في الحياة ، ففي الناس الكافر بالغداة والعشي يريدون وجهه ؛ لذلك أراد الله تعالى أن يضرب لنا مثلاً موجوداً في الحياة ، ففي الناس الكافر الغني والمؤمن الفقير ، وضرب المثل يكون لإثارة الانتباه والإحساس فيخرجك من حالة إلى أخرى .⁽⁷⁴⁾

وقوله تعالى : " واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء " [الكهف 45] اذكر لهم يا محمد ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها؛ لئلا يغتروا بها ، ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة ، أو اذكر لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل وبينها لهم .⁽⁷⁵⁾ وهذا الأمر " واضرب " من خطاب الخاص المراد به العموم ، فالخطاب للرسول والمقصود كل مؤمن يجب أن لا يغتر بالحياة⁽⁷⁶⁾

وقوله تعالى : " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس " [الكهف 50] " اسجدوا " سجدوا تحية وإكرام أو اسجدوا لجهته على معنى اتخذه قبله لسجودكم لله .⁽⁷⁷⁾ والمخاطب به جميع الملائكة وهو سجدوا تشريف وتكريم وتعظيم .⁽⁷⁸⁾

⁽⁷³⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 383 .

⁽⁷⁴⁾ تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، محمد متولي ، الأزهر - مجمع البحوث الإسلامية ، أخبار اليوم ،

1411 - 1991 ، ج 14 ، ص 8898 - 8899

⁽⁷⁵⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 411 - 412 .

⁽⁷⁶⁾ ينظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج 2 ، ص 238 .

⁽⁷⁷⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 421 .

⁽⁷⁸⁾ تفسير ابن كثير ، ابن كثير ، ط 1 ، دار أسامة ، عمان ، 1423 - 2003 ، ج 3 ، ص 1256 .

وقوله تعالى : " ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم " [الكهف 52] يقول الله تعالى للكفار توبيخا وتعجيذا لهم نادوا شركائي (إبليس وذريته) للشفاعة لكم .⁽⁷⁹⁾ وقال الشوكاني : أي اذكر يوم يقول الله تعالى للكفار توبيخا لهم وتقريعا نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم ينفعونكم ويشفعون لكم ، وأضافهم سبحانه إلى نفسه جريا على ما يعتقد المشركون ، تعالى الله عن ذلك .⁽⁸⁰⁾

وقوله تعالى : " قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا في سفرنا هذا نصبا " [الكهف 62] الأمر " آتنا " حقيقي لأن موسى عندما

أحس بالجوع طلب من فتاه أن يحضر لهما الغداء ، وهو الطعام الذي يؤكل أول النهار.⁽⁸¹⁾

وقوله تعالى : " يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا " [الكهف 83] " قل " لهم يا محمد في الجواب - وهو أمر تشریف - " سأتلوا عليكم منه ... " الخطاب للسائلين والهاء في " منه " تعود على ذي القرنين ، والمراد من أنبائه وقصصه .⁽⁸²⁾ وذكر الشعراوي أن معظم الأسئلة التي وجهت للرسول في القرآن كان الجواب عليها " قل " وهذا يعني : حين يقول الله تعالى في الجواب " قل " فهذه إجابة على سؤال سئله رسول الله - عليه السلام - بالفعل ، أي حدث فعلا منهم ، أما الجواب " فقل " مقرونا بالفاء فقد ورد مرة واحدة في القرآن وهذا يدل على سؤال لم يُسأله الرسول - عليه السلام - ولكنه سيسأله مستقبلا .⁽⁸³⁾ وقوله تعالى : " فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما " [الكهف 95] " فأعينوني " الفاء لتفريع الأمر بالإعانة والأمر أفاد الطلب بما يتقوى به على المقصود من الآلات كزبر الحديد أو من الناس أو الأعم منهما ، و " أجعل " جواب الطلب ، و " بينكم وبينهم

⁽⁷⁹⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 430 .

⁽⁸⁰⁾ فتح القدير ، الشوكاني ، ج 3 ، ص 365 .

⁽⁸¹⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 455 .

⁽⁸²⁾ المرجع السابق ، ج 16 ، ص 43 .

⁽⁸³⁾ تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، ج 14 ، ص 8978 .

" تقديم إضافة الظرف إلى ضمير المخاطبين على إضافته إلى ضمير يأجوج ومأجوج لإظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم " بيننا وبينهم " .⁽⁸⁴⁾

وقوله تعالى : " أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال أتوني أفرغ عليه قطرا " [الكهف 96] في الآية ثلاثة أفعال أمر تفيد الطلب لصالح القوم ، فالإيتاء الأول بمعنى المناولة ؛ لأن معنى أتوني : جيئوني ، أما " انفخوا " فالأمر موجه للعمال ، وقوله " أتوني " الثاني فالخطاب موجه للذين يتولون أمر النحاس . وهذه الأفعال الدالة على الأمر في الآية تفيد الاستدعاء كأنه يستدعيهم للإغاثة باليد .⁽⁸⁵⁾

وقوله تعالى : " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ... " [الكهف 109] " قل " خطاب وأمر تشریف للرسول - عليه السلام - وفي إضافة " كلمات " إلى اسم الرب المضاف إلى ياء المتكلم التي تعود على الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الموضوعين من تفخيم المضاف وتشریف المضاف إليه ما لا يخفى .⁽⁸⁶⁾

وقوله تعالى : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليهم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا " [الكهف 110] " قل " يا محمد وهو خطاب تشریف " إنما أنا بشر مثلكم " أفاد القصر بناء على " قل " فحصر الموصوف " أنا " وهو سيدنا محمد على الصفة " بشر " أي أن الرسول - عليه السلام - مقصور على إحياء ذلك إليه لا يتجاوزه إلى عدم الإحياء كما يزعمون .⁽⁸⁷⁾ وذهب الشوكاني إلى أن فيها دلالة الحال فقال : " أي إن حالي مقصور على البشرية لا يتخطاها إلى

⁽⁸⁴⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 16 ، ص 57 .

⁽⁸⁵⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 16 ، ص 58 - 59 ، الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج 11 ، ص 52 -

53 .

⁽⁸⁶⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 16 ، ص 75 .

⁽⁸⁷⁾ المرجع السابق ، ج 16 ، ص 76 .

الملكية ، ومن كان هكذا فهو لا يدعي الإحاطة بكلمات الله إلا أنه امتاز عنهم بالوحي إليه من الله تعالى .⁽⁸⁸⁾

خامسا : النبي

النبي من أنواع الإنشاء الطلبي ، وله صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بـ " لا الناهية الجازمة ، وهو كالأمر يستعمل في طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الإلزام والاستعلاء .⁽⁸⁹⁾

ومن أمثلة النبي في سورة الكهف قوله تعالى : " فلا تمار فيهم إلا مرآة ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا " [الكهف 22] " فلا تمار فيهم " الخطاب للرسول ، والفاء في " فلا " لتفريع النبي على ما قبله ، والممارسة : المجادلة وهي المحاجة ، أي إذا وقفت على أن في الخائضين مخطئا ومصيبا فلا تجادلهم في شأن الفتية . و " ولا تستفت " لا تطلق الفتيا من الخائضين في شأن الفتية لاستغنائك بما أوتيت مع أنهم لا علم لهم بذلك .⁽⁹⁰⁾

وقوله تعالى : " ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله " [الكهف 23] [لأي شيء تعزم عليه فيما يستقبل من الزمان وهو نهي يفيد التأكيد لما يدل عليه اسم الفاعل " فاعل " بناء على أنه حقيقة في الاستقبال ويدخل فيه الغد بمعنى اليوم الذي يلي يومك .⁽⁹¹⁾ وفي الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الإيجاز تقديره: إلا أن تقول إن شاء الله (ويكون مع القول: لا تقولنّه إلا أن يشاء الله) أي إلا ما يريد الله⁽⁹²⁾

وقوله تعالى : " ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا " [الكهف 28] أي لا تصرف عينك النظر عنهم إلى أبناء الدنيا ، والمراد

⁽⁸⁸⁾ فتح القدير ، الشوكاني ، ج 3 ، 395 .

⁽⁸⁹⁾ الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، ط 4 ، شرح محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1975-1395 ، ص 244 ، وعتيق ، عبد العزيز ، علم المعاني ، ص 90 .

⁽⁹⁰⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 356 - 357 .

⁽⁹¹⁾ المرجع السابق ، ج 15 ، ص 357 .

⁽⁹²⁾ معاني القرآن ، الفراء ، ج 2 ، ص 138 .

النهي عن احتقارهم وصرف النظر عنهم لثرائه حالهم إلى غيرهم⁽⁹³⁾ والمقصود بـ "ولا تعد عيناك عنهم" أهل الصفة ، وظاهر النهي يفيد أمر الرسول – عليه السلام – بملازمتهم وعدم الانصراف عنهم إلى أهل الدنيا مما يقوي هؤلاء النفر من أهل الإيمان⁽⁹⁴⁾ . "ولا تطع" في تنحية الفقراء عن مجلسك "من أغفلنا قلبه" أي جعلنا قلبه غافلا ، وهذا النهي "ولا تطع" يفيد التنبيه على أن الباعث لهم إلى استدعاء الطرد غفلة قلوبهم عن جناب الله تعالى .⁽⁹⁵⁾

وقوله تعالى : " قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا " [الكهف 73] يفيد النهي " لا تؤاخذني " الالتماس لأنه صادر من شخص إلى شخص يساويه منزلة ، ويفيد الاعتذار عن نسيان الوصية على أبلغ وجه ، كأن نسيانه أمر محقق عند الخضر لا يحتاج أن يفيد إياه استقلالاً ، وإنما يلتبس منه ترك المؤاخذة به ، و " ولا ترهقني " يفيد الالتماس ، والمراد لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة .⁽⁹⁶⁾ وفي " لا تؤاخذني بما نسيت " تورية حيث أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان لإيهامه بأنه قد نسي ؛ ليبسط عذره في الإنكار ، وبعضهم يسي هذا النوع من معاريض الكلام ، وهو هنا : إيهام خلاف المراد لئلا يلزم الكذب ، وهو أجمل أنواع التورية .⁽⁹⁷⁾

سادسا : النفي

النفي : أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول ، وهو أسلوب نقض وإنكار ، يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب . ويقوم النفي في العربية بأدوات بعضها

⁽⁹³⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 379 .

⁽⁹⁴⁾ تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، ج 14 ، ص 8876 .

⁽⁹⁵⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 381 .

⁽⁹⁶⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 487 – 488 .

⁽⁹⁷⁾ إعراب القرآن وبيانه ، الدرويش ، محيي الدين ، ط 9 ، دار اليمامة – دار ابن الكثير ، دمشق –

مفرد وهي : لا ، ما ، إن ، هل ، وبعضها مركب وهي : لم ، لماً ، لن ، ليس ، لات .
(98)

ومن أمثلة النفي في سورة الكهف قوله تعالى : " إنهم إن يظهروا عليكم يرجعوا أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا " [الكهف 20] إذا دخلتم في ملتهم حقيقة ولو بالإكراه والإلجاء لن تفوزوا بخير لا في الدنيا ولا في الآخرة . فالنفي بلن خصص بـ " أبدا " ليشمل الدنيا والآخرة ، ووجه الارتباط أن الإكراه على الكفر قد يكون سببا لاستدراج الشيطان إلى استحسانه والاستمرار عليه .⁽⁹⁹⁾ وذكر الشوكاني أن إثارة كلمة " في " على كلمة " إلى " للدلالة على الثبات والاستقرار في ملة قومهم وهي ملة الكفر ، وأن كلمة " إذا " فيها معنى الشرط ، كأنه قال : إن رجعتم إلى دينهم فلن تفلحوا إذا أبدا ، لا في الدنيا ولا في الآخرة .⁽¹⁰⁰⁾

وقوله تعالى : " لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدًا " [الكهف 27] المعني بالخطاب بـ " لن تجد ... " سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وهذا الخطاب يفيد الفرض ، وخلص الخطاب إلى أمة محمد - عليه السلام - أن لا تحدثهم أنفسهم بطلب ملجأ غيره تعالى .⁽¹⁰¹⁾ وهذا النفي يفيد التأكيد : لأن " لن " تدخل على الفعل المضارع فتنتفيه نفيا مؤكدا وتخلصه للاستقبال .⁽¹⁰²⁾

وقوله تعالى : " أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا " [الكهف 41] أفاد الخطاب بالنفي نفي الاستطاعة والمراد نفي استطاعة الوصول إلى الماء الغائر تحركا وعملا في إخراجه ، فعبر عنه بنفي الطلب إشارة إلى أنه غير ممكن ، والعاقل لا يطلب مثله .⁽¹⁰³⁾ فإن قلت : يمكن أن يكون الماء غائرا ، ونستطيع إخراجه

⁽⁹⁸⁾ مهدي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، المخزومي ، ص 246 .

⁽⁹⁹⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 335 .

⁽¹⁰⁰⁾ فتح القدير ، الشوكاني ، ج 3 ، ص 344 .

⁽¹⁰¹⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 372 .

⁽¹⁰²⁾ معاني النحو ، السامرائي ، فاضل ، ط 2 ، دار الفكر ، عمان ، 1423 - 2003 ، ج 4 ، ص 163 .

⁽¹⁰³⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 406 .

بالآلات؛ لذلك جاء النفي " فلن تستطيع ... " يقطع أمله في أية حيلة يفكر فيها ، لذلك لن تصل إليه بأية وسيلة من وسائلك .⁽¹⁰⁴⁾

وقوله تعالى : " ولا يظلم ربك أحدا " [الكهف 49] إن الله تعالى لا يجاوز الحد الذي حده ، ولا يخالف ما جرت عليه سنته الإلهية ، فلا يعذب أحدا بما لم يعمله ، ولا ينقص ثواب من عمل بما أمر به وارتضاه .⁽¹⁰⁵⁾ وعندما تدخل " لا " على الفعل المضارع ، فلا تقيده بزمن على الأرجح ، وإن كان النحاة يرون أنها تخلصه للاستقبال وهي في الآية السابقة للحال .⁽¹⁰⁶⁾

وقوله تعالى : " قال إنك لن تستطيع معي صبورا " [الكهف 67] قال (العبد الصالح أو الخضر) " إنك لن ... " نفى أن يصبر معه على أبلغ وجه حيث جاء بأن المفيدة للتأكيد وبلن التي نفىها أكد من نفي غيرها ، وعدل عن لن تصبر إلى " لن تستطيع " المفيد لنفي الصبر بطريق برهاني ؛ لأن الاستطاعة مما يتوقف عليه الفعل فيلزم من نفيه نفيه ، ونكر " صبورا " في سياق النفي وذلك يفيد العموم ، أي لا تصبر معي أصلا شيئا من الصبر .⁽¹⁰⁷⁾ ونفي الاستطاعة قد يراد به نفي الامتناع ، أو عدم إمكان وقوع الفعل مع إمكانه ، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة كما في الآية .⁽¹⁰⁸⁾

سابعا : الخطاب بالجملة

ذكر ابن جني أن الجملة قاعدة الحديث وسماها الكلام الذي هو " لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ، وهو الذي يسميه النحاة الجمل " وفرق بين الكلام والقول في قوله : " الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها ، وأن

⁽¹⁰⁴⁾ تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، ج 14 ، ص 8919

⁽¹⁰⁵⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 421 .

⁽¹⁰⁶⁾ معاني النحو ، السامرائي ، فاضل ، ج 4 ، ص 176 .

⁽¹⁰⁷⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 481 .

⁽¹⁰⁸⁾ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج 3 ، ص 463 .

القول لا يستحق هذه الصفة " ⁽¹⁰⁹⁾ ومن المحدثين من عرفها : " الجملة هي الصورة اللفظية للكلام المفيد في أي لغة من اللغات ، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه ، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع . ⁽¹¹⁰⁾

ومن أمثلة الخطاب بالجملة في سورة الكهف قوله تعالى : " فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا " [الكهف 6] أفاد الخطاب في جملة " لعلك باخع في نفسك " الإشفاق الذي يقصد به التسلي والحث على ترك التحزن والتأسف . وفي الآية استعارة تمثيلية وذلك أنه مثل حال النبي - عليه السلام - في شدة الوجد على إعراض القوم وتوليمهم عن الإيمان وكمال الحزن عليهم بحال من يتوقع منه إهلاك نفسه إثر فوت ما يحبه عند مفارقة أحبته تأسفا وتلهفا على مهاجرتهم . ⁽¹¹¹⁾ وفيما يشبه الإنكار يخاطب الله تعالى رسوله الذي كان يحزنه أن يكذب قومه بالقرآن ويعرضوا عن الهدى ، فلعلك قاتل نفسك أسفا وحزنا عليهم ، وما يستحق هؤلاء أن تحزن عليهم وتأسف . ⁽¹¹²⁾

وقوله تعالى : " نحن نقص عليك نبأهم بالحق " [الكهف 13] خاطب الله تعالى رسوله بالضمير " نحن " وفي هذا تفخيم وتعظيم لله ؛ لأنه تحدث عن نفسه بضمير الجماعة ، وفي الخطاب في هذه الآية شروع في تفصيل ما أجمل من قصة أهل الكهف فيما سلف ، أي نحن نخبرك بتفصيل خبرهم الذي له شأن وخطر ، ولعل في التقييد " بالحق " إشارة إلى أن في عهده - صلى الله عليه وسلم - من يقص نبأهم لكن ليس بالحق . ⁽¹¹³⁾ وبعد هذا التلخيص المشوق للقصة يشير الخطاب الرباني " نحن نقص " إلى توسع السياق في التفصيل ، ويبدأ هذا

⁽¹⁰⁹⁾ الخصائص ، ابن جني ، تحقيق عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية ، سيدنا الحسين ، ص 31 ، 33 .

⁽¹¹⁰⁾ في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي ، المخزومي ، ص 31 .

⁽¹¹¹⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 298 .

⁽¹¹²⁾ في ظلال القرآن ، قطب ، سيد ، ط 1 ، دار إحياء الكتب العربية ، ج 15 ، ص 80 .

⁽¹¹³⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 312 .

التفصيل بأن ما يقصه الله منها هو فصل الخطاب في الروايات المتضاربة ، وهو الحق اليقين .⁽¹¹⁴⁾

وقوله تعالى : " أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا " [الكهف 34] يفيد الخطاب بالجملة الاسمية في الآية المقابلة لقوله تعالى : " إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا " [الكهف 39] والمراد من أفعل التفضيل في الآيتين معناه الحقيقي .⁽¹¹⁵⁾ وأفاد الخطاب في الآية الأولى الافتخار بكثرة المال ، وعزة العشيرة ، والتكبر والاعتزاز بما نالوه من حطام الدنيا .⁽¹¹⁶⁾

وقوله تعالى : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا " [الكهف 46] " والباقيات الصالحات " تفيد التنويه بشأن فقراء المؤمنين والحط من قدر شأنهم فكأنه قيل : ما افتخر به أولئك الكفرة من المال والبنين سريع الزوال لا ينبغي أن يفتخر به ، وما جاء به أولئك المؤمنون " خير " من ذلك " عند ربك " في الآخرة ، وتكرير " خير " يفيد المبالغة .⁽¹¹⁷⁾ وإذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال والبنين وهي زائلة ، فإن الباقيات الصالحات خير ثوابا وخير أملا عندما تتعلق بها القلوب ، ويناط بها الرجاء ، ويرتقب المؤمنون نتائجها وثمارها يوم الجزاء .⁽¹¹⁸⁾

وقوله تعالى : " وربك الغفور ذو الرحمة " [الكهف 58] " وربك الغفور " مبتدأ وخبر ، وقوله " ذو الرحمة " أي صاحبها والموصوف بها خبر بعد خبر ، وإنما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة دون رحمة ؛ لأن المغفرة ترك الأضرار والرحمة إيصال النفع ، وقدرة الله تعالى تتعلق بالأول لأنه ترك مضار لا نهاية لها ، وكذلك " ذو الرحمة " لا يخلو من المبالغة وذلك لاقتران الرحمة بأل فتفيد الرحمة الكاملة ،

⁽¹¹⁴⁾ في ظلال القرآن ، قطب ، سيد ج 15 ، ص 82 .

⁽¹¹⁵⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 396 – 397 .

⁽¹¹⁶⁾ البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ج 6 ، ص 120 .

⁽¹¹⁷⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 414 .

⁽¹¹⁸⁾ في ظلال القرآن ، قطب ، سيد ، ج 15 ، ص 96 . الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ج 14 ، ص

الرحمة المعهودة التي وسعت كل شيء ، ولاتصاف هذه الرحمة بـ " ذو " الذي دلالتة في مثل هذه الآية فوق دلالة المشتقات مثل الرحيم أو الراحم ، ولا يكاد يدل سبحانه على اتصافه تعالى بصفة بهذه الدلالة إلا وتلك الصفة مرادة على الوجه الأبلغ .⁽¹¹⁹⁾

وقوله تعالى: " قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا [الكهف 69] قال موسى للخضر " ستجدني إن شاء الله صابرا " معك غير معترض عليك " ولا أعصي لك أمرا " عطف على " صابرا " والفعل يعطف على المفرد المشتق كما في قوله تعالى : " صافات ويقبضن " بتأويل أحدهما بالآخر ، والأولى فيما نحن فيه التأويل في جانب المعطوف أي ستجدني صابرا وغير عاص ، وفي الوعد بـ " ستجدني " من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان .⁽¹²⁰⁾ وذكر الشوكاني أن قوله : " إن شاء الله " أفاد التقييد الشامل للصبر ونفي المعصية لأن كل واحد منهما معزوم عليه في الحال ، وكون كل واحد منهما لا يدري كيف حاله فيه في المستقبل .⁽¹²¹⁾

وقوله تعالى : " قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا " [الكهف 78] قال " الخضر " هذا فراق بيني وبينك " فـ " هذا " مبتدأ و " فراق " خبر أضيف إلى الظرف المكرر ، وعدل عن بيننا لمعنى التأكيد والإشارة إلى الفراق المدلول عليه بقوله قبل " لا تصاحبني " وفي " سأنبئك " السين للتأكيد لعدم تراخي الإنباء أي أخبرك ألبتة " بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا " والظاهر أن هذا لم يكن عن طلب من موسى وفي جعل الموصول عدم استطاعة موسى للصبر دون أن يقال بتأويل ما فعلت أو بتأويل ما رأيت ونحوهما تعريض به - عليه

⁽¹¹⁹⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 439 - 440 .

⁽¹²⁰⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 15 ، ص 481 .

⁽¹²¹⁾ فتح القدير ، الشوكاني ، ج 3 ، ص 372 .

السلام – وعتاب ، ويجوز أن يقال : إن ذلك لاستثارة مزيد توجهه وإقباله لتلقي ما يلقي إليه⁽¹²²⁾

وقوله تعالى : " فأراد ربك أن يبلغا أشدهما...رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا " [الكهف 82] " فأراد ربك " ماللك ومدبر أمورك ، ففي إضافة الرب إلى ضمير موسى دون ضميرهما تنبيه له على تحتم كمال الانقياد لإرادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبهما التي يشم منها طلب ما يحصل به تربية البدن وتدييره . و: " رحمة من ربك " في الكلام حذف والتقدير: فعلت ما فعلت رحمة من ربك فهو حينئذ مفعول لأجله بتقدير إرادة أو رجاء رحمة ربك أو منصوب بنزع الخافض ، والرحمة بمعنى الوحي أي برحمة ربك ووحيه ، فيكون قوله : " وما فعلته عن أمري " أي عن رأيي واجتهادي تأكيدا لذلك . وقوله : " ذلك ما لم تسطع " " ذلك " إشارة إلى ما ذكر من العواقب المنظومة في سلك البيان ، وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد درجته في الفخامة . وخفف "تسطع" إشارة إلى أنه خف على موسى ما لقيه ببيان سببه .⁽¹²³⁾

الخاتمة

توصل البحث إلى النتائج الآتية :

- يلعب الخطاب النحوي دورا في تحديد المعنى والدلالة في السياق القرآني .
- خرجت أركان الخطاب النحوي عن معناها الحقيقي في سورة الكهف إلى معان أخرى يحتملها اللفظ وتستفاد من السياق وقرائن الأحوال .
- ظهر للألوسي في تفسير سورة الكهف آراء نحوية وبلاغية قوية الدليل والتعليل ، انفرد بها عن غيره من المفسرين ، بل تفوق عليهم .

⁽¹²²⁾ روح المعاني ، الألوسي ، ج 16 ، ص 12 – 13

⁽¹²³⁾ المرجع السابق ، ج 16 ، ص 20 – 21 .

- كان الألوسي في منهجه في تفسير سورة الكهف يورد آراء بعض المفسرين واللغويين فيتفق مع بعضها وينقض بعضها .
- كان الأمر أكثر أركان الخطاب النحوي ورودا في سورة الكهف حيث ورد في عشرين موضعا : لأنه يفيد طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى ، وكان خطاب الأمر في معظم قصص السورة من الله تعالى وهو الأعلى ، وعندما يأتي الأمر من الأدنى إلى الأعلى يفيد الدعاء وهو قليل في السورة .
- كان النداء أقل أركان الخطاب النحوي ورودا في سورة الكهف حيث ورد في ثلاثة مواضع ، وذلك لأن النداء دعوة للمخاطب وتنبهه لسماع ما يريد المتكلم ، وهذا عادة ما يكون في الخطاب الرباني ، أما القصص التي دارت في السورة وهي : قصة أهل الكهف ، وصاحبا الجنتين ، وموسى والعبد الصالح ، وذو القرنين ، فدارت بين البشر فاعتمدت على ما يناسب طبيعة البشر من الاستفهام والأمر والشرط .
- في سورة الكهف ظواهر لغوية وبلاغية تصلح ميدانا لدراسة الباحثين لاستجلاء ما فيها من كنوز .

فهرس المصادر والمراجع

- 1- أحمد بن زيد ، الفضة المضيئة في شرح الشذرة الذهبية ، تحقيق د. عبد المنعم فائز مسعد ، ط1 ، مطبعة المعارف ، القدس ، 1401 – 1989 .
- 2- الألباني ، محمد ناصر الدين ، السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف ، الرياض .
- 3- الألوسي ، شهاب الدين محمود ، روح المعاني ، صححه محمد حسين العرب ، دار الفكر ، بيروت ، 1414 – 1994 .
- 4- الأنطاكي ، محمد ، المحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها ، ط 1 ، مكتبة الشروق ، بيروت ، 1392 – 1972 .
- 5- البيطار ، عبد الرزاق ، حيلة البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، ط 2 ، دار صادر ، بيروت ، 1413 – 1993 .
- 6- ابن جني ، الخصائص ، تحقيق عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية ، سيدنا الحسين .

- 7- حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ط 5 ، دار المعارف ، مصر .
- 8- أبو الحسن ، مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح (صحيح مسلم) دار الجيل ، بيروت – دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- 9- أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وزملائه ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422 – 2001 .
- 10- ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ط 6 ، دار القلم ، بيروت ، 1406 – 1986 .
- 11- الدارمي ، عبدالله بن عبدالرحمن ، سنن الدارمي ، تحقيق فواز أحمد الزمرلي وخالد السبع ، ط 1 ، دار الكتاب ، بيروت ، 1407 .
- 12- الدرويش ، محيي الدين ، إعراب القرآن وبيانه ، ط 9 ، دار اليمامة ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، 1426 – 2005 .
- 13- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، 1424 – 2004 .
- 14- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- 15- الزمخشري ، الكشاف ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415 – 1995 .
- 16- ابن زنجلة ، عبد الرحمن بن محمد ، حجة القراءات ، تحقيق سعيد الأفغاني ، ط 5 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1422 – 2001 .
- 17- السامرائي ، فاضل ، معاني النحو ، ط 2 ، دار الفكر ، عمان ، 1423 – 2003 .
- 18- سيويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط 3 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1403 – 1983 .
- 19- شرف ، عبد العزيز ، وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1414 – 1993 .
- 20- الشعراوي ، محمد متولي ، تفسير الشعراوي ، الأزهر – مجمع البحوث الإسلامية ، أخبار اليوم ، 1411-1991
- 21- الشوكاني ، فتح القدير ، المطبعة العصرية ، صيدا – بيروت ، 1423 – 2003 .

- 22- عباس ، فضل حسن ، قصص القرآن الكريم ، ط1 ، دار الفرقان ، عمان ، 1420 – 2000 .
- 23- عتيق ، عبد العزيز ، علم المعاني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1974 .
- 24- ابن فارس ، أحمد ، الصحابي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418 – 1997 .
- 25- الفراء ، يحيى بن زياد ، معاني القرآن ، تحقيق محمد علي النجار ، دار السرور .
- 26- القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق عماد زكي البارودي وخيري سعيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .
- 27- القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح محمد عبد المنعم خفاجي ، ط4 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1395 – 1975
- 28- قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية .
- 29- ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ط1 ، دار أسامة ، عمان ، 1423 – 2003 .
- 30- المالقي ، أحمد بن عبد النور ، رصف المباني ، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق
- 31- المخزومي ، مهدي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، ط1 ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 1964 .
- 32- ابن هشام ، مغني اللبيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 1424 – 2003 ،
- 33- ابن النحاس، أحمد بن محمد إعراب القرآن ، تحقيق د. زهير غازي زاهد، ط1، عالم الكتب ، بيروت، 1426 – 2005